

في ذكرى الإمام الشهيد حسن البنا.. غرس حبّ الأوطان



رسالة من: أ.د. محمد بديع المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد..

دماء الإمام الشهيد تذكّرنا بالحبّ الصادق للأوطان:

في مثل هذه الأيام من كل عام تذكّرنا دماء الإمام الشهيد حسن البنا، ببذل روحه في سبيل رفعة الوطن، وحبّه الصادق، والعمل على نهضته الدائمة، رغم أن الذي قتله أيدٌ مصرية آثمة تبرأ مصر منها، وساعدها إرهاب مؤسسات فاسدة، وحمل جنائزه النساء فقط بالقهر ورجل شجاع مسيحي مصرى واحد يذكره التاريخ ولا ينساه، ولم يسترد أولاده حقهم الدنوي حتى الآن، ولكن القيم التي غرسها والرجال الذين رباهم لخير مصر والعالم يشهدون له، ويضيفون بإذن الله تعالى لحسناته الخير الكثير.

من أجل هذا تبقى هذه الأسس التي أحياها الإمام في الأمة: من مطاردة اليأس والإحباط، وغرس الأمل والتفاؤل، خاصة وهي تواجه المحن والشدائد؛ لتحقيق أمال الشعوب ونهايتها، خاصة وهي تواجه الكثير من الصعاب والفتن، ومن السعي إلى التقدّم المنشود، وإقامة العدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، رغم كيد الخصوم، ومكر المتربيّين ببلداننا، وكأنّي بدماء الشهيد تقول لأبناء الأمة: إن النصر آتٍ لا ريب فيه بمقتضى سنن الله تعالى، فما أحوجنا اليوم قبل الغد، إلى أن نستلهم من العمل والإنتاج ما يحقق طموحات الشعوب التي تحتاج إلى الهمم الكبيرة والأنفس المخلصة.

تقديم الخير للوطن والدفع للإنتاج:

فقد أجمع المنصفون على أن الإمام البَنَّا خاص في البداية أكبر التحديات لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن العلاقة بين الدين والسياسة التي غرسها الجهل والهوى، وذلك بالتصحيح والتوصيب والتمسك بالقرآن والسنة، يقول تعالى: (وَأَنْ أَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّسِعْ أَهْوَاءُهُمْ وَأَحَدُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ) [المائدة: 49]، فجمع الأمة على النبع الصافي، رغم أنماط النفوس المختلفة، ووحد الصف رغم تباين المشاعر والإدراكات والأعمار والأوساط، وهو الأمر الذي يعمل الإخوان المسلمين دائمًا على تحقيقه في أبناء الأمة، من تجميع الشمل المُتَفَرِّق، وتوضيح الهدف الغائم، والمتمثل في بذل كل طاقاتهم ووسائلهم لتقديم الخير لأوطانهم، والدفع نحو العمل والإنتاج، يقول المفكر مالك بن نبي عن الإمام الشهيد: "وقد استمر على رأس جماعة الإخوان المسلمين عشرين سنةً، لم يعش فيها لغير الإسلام والحركة، ويقاد عمله يستعرق الليل والنهار، وهذه طاقة لا تتوفّر إلا عند المُصْطَلِّينَ الْأَخْيَارِ، وهكذا ماضى الإمام وبقي ما غرسه في الأمة.

ومن غرس الإمام: الوطنية وخدمة المواطنين

في "رسالة المؤتمر الخامس" يقول الإمام البَنَّا عن فريضة حب الوطن، والتلفاني في خدمته: "إن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها: أن يعمل كل إنسان لخير بلده وأن يتفاني في خدمته، وأن يُقدِّم أكبر ما يستطيع من الخير للأمة التي يعيش فيها، فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها، وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية، وأعظمهم نفعاً لمواطنيه؛ لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين".

ومما غرسه الإمام الشهيد من معاني الوطنية:

معنى حب الوطن والتعلق به: فذلك أمر مركوز في فطرة النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، ومن يحب الوطن لا يُخرب أو يقتل أو يُدمَّر أو يُرُوِّع الآمنين أو يُثير الفوضى أو يهدِّم البناء.

ومعنى تقوية الرابطة بين أبناء الوطن الواحد: بأن يكونوا يدًا واحدة، في إثارة المصلحة العامة، والتعالي على المنافع الشخصية والمصالح الحزبية.

ومعنى الوحدة الوطنية: أن جميع عناصر الأمة إنما هم نسيج واحد متساونون في الحقوق والواجبات، فالتعاون والتكافل وبناء الوطن ونهضته مسؤوليتهم جمِيعاً، وواجب عليهم جمِيعاً بأمر الله عز وجل (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ...) (المائدة: 2)، وليس معنى ذلك أن يكون الجميع قوالب واحدة، فذلك مُخالف لفطرة الناس، فالله عز وجل خلقهم على اختلاف في التفكير والعلم والقدرة والمواهب، ولكن لا بد أن يُوظَّف هذا الاختلاف والتنوع في التكامل والتتسابق لإعمار الأرض وليس لإفسادها (ولكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...) (البقرة: 148)، (ولَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمْعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف: 56).

تحذير الإمام من الوطنية الرائفة:

والتي يقول فيها الإمام، وكأنه يحدِّرنا اليوم، من مظاهر التَّهْلِكَة، والمتمثلة في: "تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتترافق بالسباب وتترامى باللُّهُمَّ، ويُكيد بعضها لبعض، وتتشيَّع لمناهج وضعية أملتها الأهواء وشكَّلتها العادات والأغراض، وفسَّرَتها الأفهams وفق المصالح الشخصية، والعدُوُّ يستغل كل ذلك لمصلحته، ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً، ويفرقهم في الحق، ويجمعهم على الباطل، ويحرِّم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض، ويُحِلُّ لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله، فلا يقصدون إلا زُواجَهُ، ولا يجتمعون إلا زُواجَهُ، فتلك وطنية رائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس".

ما أحوج مصرنا لمعاني الوطنية:

يعنى الانتماء إلى مصر وحُبُّها، والعمل على النهوض بها، يتساءل الإمام: "فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندافع عن مصر بكل ما نستطيع؟ وكيف يقال: إنَّ الإيمان بال碜رية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادي بالإسلام ويهتف بالإسلام! إننا نعترَّ بأنَّا مخلصون لهذا الوطن الحبيب، عاملون له، مجاهدون في سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا، معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النَّهْضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربي العام، وأنَّا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام".

وأحياناً:

كتب الشاعر الكبير علي أحمد باكثير قصيدةً عن الإمام الشهيد منها:

مررت كَبَيْنَ عَشِيَّةٍ	عِشْرُونَ عَامًا بِالْجِهَادِ حَوَافِلَ
فِي الصَّالِحَاتِ إِذَا يُقَاسُ مَدَاهَا	مَا كَانَ أَقْصَرَهَا وَأَطْوَلَ بَاعُهَا
تَقْوَى الْمَوَانِعُ أَنْ تَعْوَقَ خُطَاهَا	هِيَ دُعَوةُ الْحَقِّ الَّتِي انْطَلَقَتْ فِلَمْ
لَمْ يَغْزِ آلَافَ النُّفُوسِ هَدَاهَا	لِلَّهِ "مُرْشِدُهَا" فَلَوْلَا صَدَقَهُ

إن تطهير النفوس وتتجدد الأرواح، هي وسائل الإخوان المستمرة، وإن نهضة الأوطان وبناؤها تحتاج إلى الإرادة القوية من الجميع، وإن الأمل الواسع والثقة بالنجاح بما السبيل لكل تقدم، يقول تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران: 139)، وإن المعارضة الوطنية هي البناءة التي ترفع من شأن الأوطان، دون اتهام، أو البحث عن البُيُّنات، أو التصنيف، بل بأريحية وسعة صدر، والله أَكْبَرَ وَلَلَّهُ الْحَمْدُ.

القاهرة في: 4 من ربيع الآخر 1434هـ، الموافق 14 من فبراير 2013م.